

القراءة الطباقية عند إدوارد سعيد

الأستاذ حسين حيمر

شعبة الفلسفة

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

جامعة تلمسان

ينقد إدوارد سعيد الرواية الغربية من المنظور الذي ينتقل بالتجربة التحليلية من النص إلى الخطاب التاريخي والثقافي في آن واحد، كان سعيد يفتح هوة تزداد اتساعا في تغيير ذلك المنظور من الأفق المحصور في ميدان جمالية النصوص إلى قراءة السياقات التاريخية والقراءة للسياقات الثقافية معا، يرى سعيد " كم هو موقظ وملهم، لذلك لأن يقرأ المرء جانبه الخاص وحسب، بل أن يستوعب أيضا كيف أن فنانا عظيمًا مثل كبلينغ (وقل من يفوقونه امبريالية ورجعية)، صاغ الهند بكل تلك المهارة وكيف أن روايته كيم لم تعتمد على تاريخ طويل من المنظور الانجلو. هندي فحسب، بل تتبأت كذلك، بالرغم من نفسها، باستحالة التمسك بهذا المنظور في إلحاحها على الإيمان بأن الواقع الهندي كان يتطلب، بل بحق يستدعي الوصايا البريطانية إلى ما لا نهاية له "¹.

وقد تصدى إدوارد سعيد بمواقفه النقدية الجريئة للكثير من المفكرين الغربيين مثل ما فعل لمقولة جاك دريدا الشهيرة (لا شئ خارج النص)، حيث رفضها بكاملها في كتابه العالم والنص والناقد الذي نشر عام 1983 The world, the text, and the critic ، إن ما يشبه هذه المقولة يمكن العثور عليها في بعض الأعمال الأدبية، التي تكمن قيمتها في توضيح النشاط الفكري، الأمر الذي يجعلنا ندرك أن الخطاب النقدي المعاصر معارض في موقفه، سواء تعلق الأمر بعمل الناقد أو بمعرفته للواقع الذي يعيش فيه. إن عملية نقد المقولات المتطرفة، بخصوص الجذور والموروثات والمعرفة نفسها، أدى بهذا النقد إلى نيل استقلاله المنهجي باحتلاله موقعا فعالا في هذا العالم "² . يضيف سعيد قائلا " ومع ذلك فما من أحد منهم يتهم ذلك الاهتمام الكبير بالفروق الدقيقة بين النظرية السقيمة والتطبيق أو بين النقد الأدبي وبين الفيلولوجيا والفلسفة وعلم اللغة والسيكولوجيا والسوسيولوجيا "³ .

إن كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد يتضمن رفضه الحازم لمثل هذه المقولات، وفي ذلك المؤلف إصرار على العلاقة التي يرتبط فيها الأدب والممارسات الثقافية المختلفة بالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وما ينبغي الانتباه إليه هو أن نقد سعيد كان موجهاً إلى الخطابات الاستشراقية بعامة لكونها من بين أخطر العمليات التي تؤدي إلى تحويل الشرق من مجالاتها التاريخية والثقافية إلى مجموعة من النصوص، أي إلى مجرد ظاهرة نصية، ولأن قيمة أي تقرير عن الشرق لا تأتي من الشرق نفسه، بل من خلال إقصاء هذا الشرق وإزاحته، فلا وجود لهذا الشيء إلا ضمن النصوص الغربية والمتخيلة التي تؤسس لتمثيلات هذا الشرق في المخيال الغربي، الذي يعتمد في ذلك على مؤسسات وتقاليده معروفة ولهم متفق عليه بغية تحقيق تأثيرها " إن العلاقة القائمة بين الغرب والشرق كانت ولا تزال علاقة قوى، أي علاقة تحكم الغرب في الشرق على مستوى درجات مختلفة " ⁴.

ولا يوافق إدوارد سعيد على التمييز بين المعرفة الخالصة والمعرفة السياسية، فلا توجد معرفة مستقلة بذاتها عن الواقع بكل أبعاده الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وعليه فلكل نص ظروف معينة توجده كالظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية، وهذا هو ما يهتم به سعيد وهو ما يسميه بدنيوية النصوص، إن تلك الظروف هي بمثابة مجموعة من الأحداث والوقائع في المؤسسات الاجتماعية المتعددة التي تجعل من النقد والوعي النقدي Consciousness Critic يتضافران لإظهار الحقيقة، لا يوجد أي نص في برجه العاجي، بمعنى ليس هناك نص معزول عن شروطه الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، والسياسية. ولهذا بالذات يمكننا أن ننظر لأهمية النصوص من حيث هي مجموعة من الحالات الثقافية، وليست مجموعة من الصور البيانية، واللغوية، والجمالية، لهذا السبب يحدد سعيد منهجية للقراءة التي تركز على أعمال أدبية معينة بل فردية " كإنتاج عظيم للخيال الخلاق أو التأويلي، من ناحية، وكونه جزء من العلاقة بين الثقافة والامبريالية، من ناحية ثانية " ⁵.

إن أهمية هذا الطرح المنهجي السعدي، تكمن في تفكيك النصوص الكولونيالية من منظور الأقليات كالمرأة، والسود، ومتنقي العالم الثالث، والمعذبون في الأرض حسب التعبير الذي استخدمه فرانز فانون في كتابه الشهير الموسوم بنفس العنوان. وتؤدي النصوص وظيفة لا يستهان بها في الصراعات السياسية الثقافية المختلفة، وهذا في حد ذاته من أهم إنجازات سعيد في قراءته الطباقية أي قراءته للثنائيات المتضادة في علاقة الامبريالية بالثقافة " ليست الثقافة ولا الامبريالية خاملتين راكنتين، ومن هنا فإن الروابط بينهما كتجارب تاريخية حيوية ومتشابكة ومعقدة " ⁶.

وينبغي علينا إذا أردنا فهم الخطاب النقدي عند سعيد سواء كان سياسيا أو ثقافيا، أن نركز على أن النص لا يمكن أن يكون واضحا بذاته، فهو يخفي إيديولوجية مناقضة لخصوصيتها البلاغية والجمالية، وعليه فإن سعيد يرى بـ " أن النص في النهاية هو أشياء مادية، ليست مجرد فيض خالص يفيض عن نظرية من النظريات " ⁷ . ولهذا يرفض سعيد التعامل مع النصوص كبنية مادية، بل يدعونا للنظر إلى تلك النصوص على أنها " أفعال وضعت في العالم كمنتجات ثقافية، وأفعال ثقافية، في علاقة مع السلطة التي أنتجتها " ⁸ .

كما نجد سعيد يهتم بالتجارب التاريخية للإشارة إلى " أن الكلمات ليست تقنية ولا باطنية، وإنما هي تتجه إلى كل ما هو حي، وصراعي وخاصة منها تجربة الانخلاع والمنفى والهجرة والإمبراطورية. إن النصوص عبارة عن وصف لدنيوية، وهي أحداث إلى حد ما، وهي فوق كل هذا وذاك قسط من العالم الاجتماعي والحياة البشرية قسط بالتأكيد من اللحظات التاريخية التي احتلت مكانها فيها وفسرتها حتى حين يبدو عليها التكرار لكل ذلك " ⁹ .

ونجد سعيد يؤكد على " كشف العلاقة بين البنية والحدث من ناحية، والتضاد الناتج عن سيطرة النظم الامبريالية وأنساقها الثقافية والمقاومة الوطنية المعارضة لتلك السيطرة من ناحية أخرى، ويحاول قراءة هذه الثنائيات قراءة طباقية، وهي قراءة تهدف إلى عزل السلطة التشريعية المهيمنة للإمبريالية عن تلك النصوص لأن الإمبريالية تعمل على أنها ذات حضور جامع للقوانين " ¹⁰ . ومن ثمة فإن وظيفة القراءة الطباقية عند سعيد هي " التي تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد لتعدد الأصوات ولا يتوقف عند الصوت الواحد ليس إلا لكي تكشف ما الذي قد تخفيه القراءة الأحادية حول الدنيوية السياسية " ¹¹ .

إن تسمية هذه القراءة بالطباقية يعني عند سعيد أنه استخدم هذا المصطلح منذ البداية استخداما مجازيا، فهو مصطلح مستعار من الموسيقى أصلا. وهو نتيجة للعلاقة الوطيدة بين كتابات سعيد المتعلقة بالنقد الأدبي ومجموعات الأنساق متعددة ¹² وفي هذا الصدد طرح سعيد مسألتين يتميز بهما مصطلح الطباق ومصدره الموسيقي، الأولى منهما تعدد الأصوات، والثانية التركيب والثراء اللذين تمنحهما التعددية في الأصوات الموسيقية . ولأن سعيد كان واسع الإطلاع في علم الموسيقى وبارعا في العزف على آلة البيانو. فهو يقر بانجذابه إلى " ظاهرة تعدد الأصوات وشديد الاهتمام بالكتابة الطباقية والأشكال الطباقية، وشديد الانجذاب إلى نوع التركيب المتاح بشكل جمالي وإلى المدى الكبير المتاح بين التناغم والتنافر النغمي وإلى ربط الأصوات المتعددة في كل متكامل منظم ... " ¹³ .

إن اهتمام سعيد بالقراءة الطباقية أضاف مسحة جديدة إلى أفكاره حول ارتباط النقد بالعالم، وهذا النقد ليس مطالباً بالتواصل مع العالم تواصلاً يتسم بالتفكير النقدي والمعارضة فقط، بل يهدف إلى الكشف عن الأصوات التي تعمل في الحياة الثقافية مع إعطاء كل الأصوات فرصة للظهور وللتحليل، لأنها كانت مهمة في النقد التقليدي السابق لإدوارد سعيد.

ومما سبق يتبين لنا أن القراءة الطباقية عند سعيد تدقق في تحليل النصوص، وتهدف إلى معالجة النص وما يتضمنه من المسكوت عنه والمنطوق به في علاقته بالعالم الذي انبثق عنه هذا النص، والذي يخاطبه في ذات الوقت : " عند قراءة نص ما، ينبغي أن يفتح على ما اندرج فيه، وما استبعد منه. فكل عمل ثقافي عبارة عن رؤية للحظة ما، ينبغي اختبار هذه الرؤية إلى جانب المرجعيات التي أثارها تلك الرؤية لاحقاً ¹⁴ .

هذه رؤية تشير إلى فكرة مفادها، أن للنصوص علاقة قائمة مع بعضها البعض على شكل تقارب وتكامل، فالنصوص ليست جزر متناظرة الأطراف ومعزولة عن بعضها البعض، ولا هو حدث فردي، أو إنه من إنتاج ثقافة أعظم من وأخرى أدنى منها، وبهذا يكون من بين دلالات مصطلح تعدد الأصوات أن النص لا بد أن يتم في تحليله داخل العوامل المختلفة الأخرى، ثقافية كانت أم اجتماعية، أم تاريخية، إلى آخر العوامل المؤثرة في النصوص، دون إغفال الأبعاد اللغوية، إن النصوص هي " جزء من عالم المجتمع وحياة الإنسان. وبالطبع جزء من اللحظات التاريخية التي تؤلف فيها هذه النصوص وتفسرها ¹⁵ .

ويرى إدوارد سعيد بأن النص يمر بمرحلتين، حيث يكون في البداية خاضعاً للفحص في مقابل التراث الثقافي والجمالي المنتمي إليه، ثم يفحص في المرحلة الثانية من خلال الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أحاطت به أو هي بالذات التي تصورها تلك النصوص، ويجب أن توضع في مقابل النصوص التي أنتجتها ثقافات أخرى حتى وإن كانت من ثقافات مختلفة حتى يصبح النص في علاقة اختلاف أو تنافر، وهذا ما يقصده سعيد بالمنظور المزدوج الذي لا يرى الأشياء منعزلة إطلاقاً، بالإضافة إلى أن الفكرة أو التجربة دائماً في وضع المقارنة مع أخرى، الأمر الذي يؤدي إلى " أن كليهما قد ظهر في بعض في شكل جديد وربما غير متوقع ¹⁶ . وعليه فالغرض من هذه المقابلة هو تسليط الضوء على الأبعاد الجديدة للنصوص، والتجارب التي تعبر عنها وكان من الممكن أن تظل خفية، لو لم يفسرها الناقد تفسيراً طباقياً.

ونتيجة لاهتمامه إدوارد سعيد بالعالمين الغربي والشرقي، جاء اهتمامه بالقراءة الطباقية، التي أراد من خلالها الحصول على نماذج تمثيل الواقع التي ظهرت خلال الفترة الاستعمارية وما بعدها في كل البلدان المستعمرة والمستعمرة، ومن ثمة يمكنه أن يضعها في القوالب الجديدة التي تتسق مع أفكاره المرتبطة بكونية الثقافة وعمل النقد الواعي Consciousness Critic، (المتمثل في الناقد والمتكف والمفكر والأكاديمي) في سياق التاريخ العلماني.

وتعتبر القراءة الطباقية عند سعيد متعددة الطبقات ومتنوعة التجارب، بينما تستحضر تجارب الماضي بوصفها جذورا للمشكلات والصراعات الآنية، إذ يحدو الأمل الناقد في أن التوصل إلى رؤية عند فهم تلك المشكلات، ربما تؤدي إلى حلها. ومن بين مقاصد القراءة الطباقية، مثلما مارسها سعيد بنفسه، هي وضع الأدب الغربي، وخاصة منه ذلك الذي تم إنتاجه أثناء السيطرة الامبريالية، وهو يركز على الدور الذي لعبته تلك الأعمال الأدبية في إنجاز المشروع الامبريالي. فالقراءة الطباقية طبقا لهذه الرؤية السعيدية تمكن الفرد من أن يدرك مثلا، أن : " الإشارة إلى أستراليا في رواية دفيد كوبرفيلد، أو الهند في رواية جين إير، وردت لأنه من الممكن ورودها ولأن القوة البريطانية جعلت مثل هذه الإشارات العابرة لهذه الأشكال من الاستحواذ الطاعي ممكنة "17.

ومن بين ما يهدف إليه سعيد بقراءته الطباقية أيضا هو التصدي للعلاقة بين الآداب الغربية وغير الغربية، بمعنى آخر كل أنواع الإنتاج الثقافي. إن الغرض الجوهرى عند سعيد من قراءته الطباقية هو : " تقديم فكر جديد عن الطريقة التي قد تمكن مواقف مثقفي ما بعد الاستعمار من مد حدود المنطقة المتداخلة القائمة بين الحواضر والمجتمعات التي سبق استعمارها "18. ويمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق إعادة بناء التجارب مرة ثانية من خلال هذه القراءة في نظر سعيد، غير أن ما يقترحه ليس مجرد إعادة رسم للعلاقات التي كانت قائمة من قبل بل " إن القراءة الطباقية لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار كلتا العمليتين، أي الامبريالية والمقاومة، الأمر الذي يمكن تحقيقه إذا امتدت قراءة النص لتشمل ما كان محظورا بالقوة قبل ذلك "19، وبهذا يتضح لنا بأن سعيد يريد إعادة قراءة التراث الثقافي، والتعامل مع الرواية الإنجليزية بطريقة جديدة هي القراءة الطباقية التي " تشتمل على وعي متزامن لكل من تاريخ حواضر العالم الذي يروى، وغيره من روايات التاريخ الأخرى التي يتعامل معها الخطاب السائد "20.

ومنه فإن جهد سعيد هذا يعتبر محاولة لإخراج الروايات المضادة للسيطرة من الصمت المفروض عليها، وحصرها ما بين النسيان والإهمال من جهة، وهي تعتبر أيضا محاولة تبيين أن القراءة النقدية متجددة ومتغيرة بتغير الأزمنة التي تقرأ فيها هذه الأعمال. ويتحقق هذا الغرض في رؤية سعيد،

عندما نسمح للطرفين بالحديث عن طريق جهود المثقف، لا بإلقاء اللوم على طرف دون آخر، في محاولة لإظهار بدائل جديدة تنتج عن هذا التمازج. ويؤمن سعيد إيماناً كبيراً بأن هذا النوع من القراءة للنصوص يسمح بظهور " نوع أكثر إثارة من التفسير العلماني وبشكل عام وأعم فائدة من تراشق الاتهامات في الماضي، أو العداوة بين الثقافات الغربية وغير الغربية التي تؤدي إلى أزمات "21.

وقد تم تطبيق القراءة الطباقية من طرف سعيد على الرواية الغربية، حيث رسم أطراً لبعض الروايات التي قام بتحليلها ودراستها بواسطة هذا النوع من القراءة. وتجده يبرر اهتمامه بالشكل الروائي على وجه الخصوص بأنه رأى في الرواية التي أنتجتها الثقافة الغربية بعض البنيات والمواقف، أي أنماط لرؤية الذات والآخر. وهذا ما تركز عليه فكرته الرئيسية، التي تنص على أن هذه البنيات يمكن الكشف عنها وتصويرها فقط عن طريق القراءة الطباقية، إذ أن هذا الأسلوب النقدي يسمح للناقد بتوضيح أن هذه البنيات " سائدة ومؤثرة في شتى الطرق والأشكال والأماكن حتى قبل زمن الإمبراطورية المعلن رسمياً، وهي أبعد ما تكون عن الثبات أو النقاء، فهي مهجنة ومشتركة على حد سواء في تعظيم جنس على آخر، بقدر اشتراكها في النبوغ الفني وفي السلطة السياسية والسلطة التقنية "22.

ويقول سعيد بالعلاقة بين الفن ومجرى الأحداث في هذا الكون، فالنفس يعتبر عنصراً مكملاً للواقع لا مجرد نسخة منه. وتحليل سعيد لعدد من الروايات الغربية يبين أن الروائيين الغربيين اشتركوا في موقف موحد، كان من شأنه أن يعزز واقع الإمبراطورية التي ساندت هذا الموقف بدورها. وعند تحليله لقضية تصوير المواطن الأصلي تحت سيطرة الغرب، في دولة أنتيجوا بالكاريبي في رواية جين أوستن (مانسفيلد بارك)، والهند في رواية كيبلينغ (كيم)، وفي أفريقيا في رواية جوزيف كونراد (قلب الظلام)، وهي مسألة يمكن اعتبارها دليلاً على الصراع الذي يعاني منه المؤلف حول قضية الحكم الإمبريالي في الأراضي المستعمرة في تلك الروايات. ويمكن اعتباره دليلاً آخر أيضاً على الجانب الذي كان يجب علينا أن نراه في أي من تلك الأعمال الروائية الغربية. ويكشف إدوارد سعيد، غياب أي صراع في تلك الروايات الثلاث، فكونراد مثلاً كان يشعر بشيء من الإحباط نتيجة للشروع التي تسببت فيها الإمبراطورية، غير أنه توصل للخلاص من خلال " ممارسات تبرر ذاتها على مر الزمن لفكرة أو رسالة ما، ومن خلال بنية تحيط بإحكام بموظفي الإمبراطورية وهي بنية يبجلونها أيضاً، وعلى الرغم من أنهم هم من أقاموا تلك البنية في المقام الأول، فإنهم يتعاملون معها على أنها من المسلمات "23، أما كيبلينغ فلا يعبر عن أي صراع داخلي فيما يتعلق بوجود بريطانيا في الهند، لأن هذا الأمر بالنسبة له يتلخص في قوله " لقد كان أفضل قدر للهند أن حكمتها إنجلترا "24. وهكذا نجد القضية محسومة على الصعيد الأخلاقي وبالنسبة

لجين أوستن إن تصويرها للسيد برترام على أنه شخصية مالك للأراضي جدير بالاحترام، بالإضافة إلى الجدية التي يدير بها مشاريعه وأملكه، يعد قبولاً ضمنياً بوجوده من خلال المزرعة التي يملكها في أنتيجوا.

ومن بين النقاط التي أثارها سعيد في أي من الروايات الثلاث عندما يظهر المواطن، أو تصور المستعمرات بشكل مفصل، نجد الكاتب يتعامل مع هذا الظهور من الناحية الأخلاقية، فيصور مكاناً متعلقاً بالسياسة وبأبعاده الإيديولوجية، مكان تتصارع فيه المصالح والأفكار المختلفة، بحيث يخرج هذا التصوير من حيز النقل الفوتوغرافي حيز التمثيل في رواية أدبية²⁵. بالإضافة إلى ذلك هناك خلو الواقع السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي من أي شكل من أشكال الردع ذات النّقل للنظرة الإمبريالية التي تعامل أي منهم بها مع العالم من حوله²⁶.

هذه هي بعض المسائل التي أشار إليها سعيد في تحليله للروايات الغربية، لكنه يقر بأن أسلوب القراءة الطباقية، لا يقلل من قيمة تلك النصوص، بل بالعكس، إن القراءة الطباقية تهدف بكل آلياتها، إلى التعبير عن ثراء التجربة الإنسانية، حيث إن الغرض منها هو " التأكيد وإلقاء الضوء على مواضع الانفصال، لا تجاهلها أو التقليل من أهميتها"²⁷.

هذا ويتوافق النقد الطباقى مع أهداف سعيد نتيجة لمرونة هذا النوع من القراءة، فزيادة على تغطيته للجوانب التقنية في تحليل النصوص مثل الكناية والاستعارة وغيرها، بإمكانه أيضاً أن يستوعب التعليق على الجوانب التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ومن خلال كتابات سعيد هذه يتضح، بأنه يشير لنا عند صياغته لفكرة القراءة الطباقية، أنه كان مدفوعاً بإنتاج نوع من التحليل يشابه الفن في حد ذاته : " لذا أردت محاولة تنظيمه بطريقة تسير على نمط فن من الفنون لا على شكل أكاديمي "²⁸. وربما ينشأ ذلك من اندراج أعمال سعيد في إطار النقد المنتظم وحدود رغبته الملحة في وصفه بالمتقف المعادي للانتماء إلى فكر مهيم، فهو طيلة حياته كان على وعي بسلبيات فكرة التبعية. كما يستكر في أعماله بشدة الانتساب إلى أي مثقف، ويترتب على ذلك رفضه انتساب مثقفين له، حيث لا يعتقد بأن " نوعية الأعمال التي أكتبها تنشأ عن صيغ ومفاهيم يمكن توريثها، بل إنها تنبثق عن التجارب الشخصية "²⁹.

وبهذا يبدو لنا، أن خوض التجارب بصفة ذاتية، حتى في أكثر الميادين تنظيمياً مثل ميدان النقد، هو سر ممارسات سعيد في تخصصه بالنقد. ونجد اشتقاق هذه الصفة الموسيقية (القراءة الطباقية)،

وربطها بالنقد يعود سببه إلى اهتمام سعيد الفكر النقدي، الذي يتعدى مجرد المعارضة بين الأفكار، بل يهدف إلى توفير فكر بديل للمثقف، مقارنة لما قدمه أصحاب الأعمال الأدبية الكبرى، الذين تكمن نقطة ضعفهم في العمى حول ما كان يحيط بهم لكونهم كانوا يعيشون في عالم محوره أوروبا خاصة والغرب عامة. والفكر البديل عند سعيد من المبادئ المميزة للنقد الطباقى، حيث يضع على عاتق الناقد والمثقف مسؤولية تحديد البدائل مثل القراءات البديلة والأفكار البديلة، المهم بالنسبة لإدوارد سعيد هو التوصل إلى أداء بناء مبدع وخلاق من ناحية، ومعارض للأنماط الفكرية السائدة من ناحية ثانية، ويسعى لزيادة صوت جديد إلى الساحة السياسية والثقافية، وإلى إضفاء صبغة التركيب على ما كان ينظر إليه من أعمال نظرة كلية بتقديم عمل مواز، ولكن متميز عن العمل السابق، يبين ما كان خفيا ومسكوتا عنه³⁰. وتأخذنا هذه القراءة البديلة الناتجة عن القراءة الطباقية إلى تعزيز مفهوم التعاطف، الذي يعني لدى سعيد من الناحية البلاغية "نظر المرء إلى موقعه بوصفه موقفا معبرا عن نظام من المعتقدات (أو موقفا سياسيا) لا انتماءا انتسابيا"³¹، وحيث أن مشاعر الصراعات والانقسامات هي السائدة في المجتمعات الحديثة، يرى سعيد نفسه مفكرا إنسانيا، يتحمل مسؤولية القضاء على الاختلافات، ويتولى محاولة تحقيق ذلك على الصعيد الثقافى من خلال أعماله اليومية، ولهذا فإن حديثه عن المثقفين في المنفى، يضيف على تجاربهم أبعادا إضافية مثل التجديد في الرؤية التي تنشأ عن وعيهم وفهمهم لأكثر من ثقافة واحدة أو وطن واحد. وفي هذه الحال، فإن رؤيتهم هذه "تؤدي إلى وعي بأبعاد مترامنة، أي وعي طباقى"³².

وبهذا فإن التجارب المختلفة جديدة كانت أم قديمة، وما تقدمه الثقافة الأم والثقافات التي تستضيف المثقف والذكريات والواقع، يمكن وضعها قبالة بعضها البعض بأسلوب "يحد من الحكم الصارم ويعطي من شأن التعاطف الذي يعطي القضايا قدرها"³³. وبالنسبة لسعيد يتعين الحكم على أي وضع يشترك فيه طرفان برؤية مزدوجة، غير أنه لا يقصد مجرد القول بسطحية أن لكل قضية وجهين³⁴، بل يقصد بالازدواجية التحرك في إطار المعرفة في مواجهة الجهل، وهنا يكمن خوف سعيد من تعزيز الجهل عن طريق عمل المثقف غير المستير، الذي لا يعني بالعد الإنسانى للقضايا، ولا يهتم بروح التفاهم والتعاطف.

مما تقدم يعتبر هدف سعيد الجوهري من القراءة الطباقية هو كسر الحواجز التي بنتها المدارس النقدية والاختلافات الجغرافية، ولذلك نجده يقول "لقد كنت أقترح خطوطا طباقية للتحليل العالمى، حيث تتم قراءة ديكنز وثاكارى، الكاتبين المنتسبين إلى الحاضرة لندن، بوصفهما كاتبين تأثرت تجربتهما التاريخية بالمشاريع الاستعمارية التي كانا على دراية شديدة بها"³⁵ يدرك سعيد أنه بتولي

البحث في التجارب الحياتية، مع الحفاظ على مشاركة كافة الدول والأطراف المعنية، قد يكون هناك خطر على الثقافات الأقل قوة، حيث يؤدي عدم توازن القوى إلى التقليل من أهمية الاختلافات على حساب تسلط ثقافة على أخرى، لذا يتعين على الناقد والمثقف توخي الحذر والأخذ بعين الاعتبار " الطوبوغرافيا المركبة وغير المتعادلة " ³⁶.

هذا بالإضافة، إلى أنه بالقدر الذي يدعم فيه سعيد الفكرة القائلة بأن جهود المثقفين لابد ألا تنفصل عن عالم السياسة و لا عن المجتمع، وبالقدر الذي يدرك أن أي عمل لا يمكن أن يخلو من حكم على الأمور، فإنه يعارض استغلال موقع المثقف . الذي يشغل منصبا أكاديميا أو ذلك من المثقفين . كمنصة للدفاع. فالهدف المرجو من المثقف هو تسليط الضوء على الأمور المشتركة، ودعم التفاهم مع التأكيد من وصول التجربة الحياتية إلى عدد أكبر من الناس، حيث إن وضع قيود على التجارب الحياتية، من خلال النظريات الاستثنائية، من شأنه أن " ينشئ دفاعات عن هذه التجربة، ولا أن يدعم المعرفة بها. وبالتالي سوف تحط (تلك القيود) من شأن تجارب الآخرين " ³⁷ .

- ¹ - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، ط 3، 2004، دار الآداب بيروت، ص 66.
- 3 - إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، ترجمة محفوظ عبد الكريم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص 127.
- 4 - المرجع نفسه، ص 127.
- 5 - إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، دار النشر للدراسات العربية، ط 1، 1981، بيروت، ص ص 1 . 13.
- 6 - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية ترجمة كمال أبو ديب، ط 2، 1998، دار الآداب بيروت، ص 66.
- 7 - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، ط 3، 2004، دار الآداب بيروت، ص 85.
- 8 - إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى ج1، ترجمة ثائر ديب، ط 1، 2004، دار الآداب بيروت، ص ص 24 . 25.
- 9 - بيل أشكروفت، وبال أهلواليا، إدوارد سعيد مفارقة الهوية، ترجمة سهيل نجم، مراجعة حيدر سعيد، ط 1، 2000، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ص ص 30 . 31.
- 10 - إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، ترجمة محفوظ عبد الكريم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص 8.
- 11 - بيل أشكروفت، وبال أهلواليا، إدوارد سعيد مفارقة الهوية، ترجمة سهيل نجم، مراجعة حيدر سعيد، ط 1، 2000، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ص 130.
- 12 - المرجع نفسه، ص 129.
- 13 - Edward Said, Culture and Imperialism, N.Y : Vintage Books, 1994, P 318.
- 14 . Edward Said, Criticism, Culture and Performance : An Interview , « Performing Arts Journal.1 january 1991, P 26.

- 15 – Edward Said, Intellectual Exile ; Expatriates and marginals, Grand Street 12.3 Fall 1993, P 121
- 16– Edward Said , Beginnings; Intention and Method , N.Y. Colombia U.P. 1985; P 4.
- 17 . Edward Said , Beginnings ; Intention and Method , N.Y. Colombia U.P. 1985 ; P 122.
- 18 . Edward Said, Culture and Imperialism, N.Y : Vintage Books, 1994, P 78..
- 19 . Edward Said, Culture and Imperialism, N.Y : Vintage Books, 1994,P 18
- 20- المرجع نفسه، ص 51.
- 21- المرجع نفسه، ص ص 11. 19.
- 22– Edward Said, Culture and Imperialism, N.Y : Vintage Books, 1994, PP111 – 112.
23. – المرجع السابق ، ص 114.
24. – المرجع نفسه، ص 146.
25. – المرجع نفسه، ص 76.
26. – المرجع السابق، ص 146 .
- 27 – Edward Said, Culture and Imperialism, N.Y : Vintage Books, 1994, P 147.
- 28 – Edward Said, « An Interview » Boundary 2 20.1 (Spring 1993) : p 3.
- 29 – Edward Said, « An Interview » Boundary 2 20.1 (Spring 1993) : p 4.
- 30 – Paul Bové, Edward Said and the work of the critic : Speaking truth power, London U.P 2000, PP 69 –70.
- 31 – Michael Sprinker, Edward said , A critical Reader (oxford, U.k. and Cambridge, USA : Blackwell, 1992), P 46.
- 32 – Edward Said, « Reflections on a life in exile », HAPER'S MAGAZINE 269. 1612 (SEPTEMBER 1984), P 55.

33 - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

34 - Edward Said, « Intellectuals in the post-colonial world », Salmagundi 70 - 71 (Spring - Summer 1986) : 55.

35 - Edward Said, Culture and Imperialism, N.Y : Vintage Books, 1994, P 318.

36 - Edward Said, « Intellectuals in the post-colonial world », Salmagundi 70 - 71 (Spring - Summer 1986) :- 56

37 - المرجع نفسه، نفس الصفحة.